سقوطا مريعا في المنتدى الاخير، برغم ماضيهم المعروف في صنعة المنابر. بعضهم كان إذا ما تحرك، حرك الجمهور معه، فقدوا القدرة على السيطرة، حتى على أصواتهم، أو انتهوا إلى التهريجية الواضحة.

بعضهم، ونُصِرّ على أنهم لم يتجاوزوا العدد الذي أشرنا إليه، أشفقنا على وضعهم، تمنينا لو ان حُمّيا القمع تصيبهم فتمنعهم عن اعتلاء صهوات المنابر بعد اليوم، ولكن من أين تأتيهم هذه الحمى، وهم كالقصبة الجوفاء، تميل مع كل ريح، وتصفر مع كل صاقر.

قصيدة أبو عفش كان عنوانها:

«أيها الله أعني على ترتيب محتويات هذا العالم.
«بلاد مبعثرة وزمان حزين
ذاهبين إلى آخر الله
لا رقعة من هواء يؤدي بها الحب
لا خلوة للبكاء...
ذاهبين إلى آخر الله
تحت سماء مبطنة بالرصاص
وأرض مغلفة بالدماء
وبلاد تقيم جنازتها في الهواء
كم الساعة الان يا سيدي
كم هي السنة الان
كم يبلغ الليل؟...»

ويبدو ان الشاعر الذي بدا خجولاً، وبدا ملولاً، وشبه منفصل عن الكون في وحدة متوحدة مع نفسه، وهو يلقي، لا يخلو من شراسة ولا يخلو من مقدرة على التحدي. وهو بالتالي عالم مفعم بكل هذه التناقضات معا.

ممدوح عدوان، شاعر لا أدري من أين «لملم» قصة التبرية. فهو يبدو، للوهلة الاولى، فوضويا لا علاقة له بالتركيز... ولكن يبدو انه تعود على أن «يخدعنا دائما».

وممدوح، إلى جانب وقفته وصوته واطلالته، لديه دائما ما يقول، في مواجهة الاحداث والمتغيرات، وخاصة في مواجهة القمع، ربما لم يبلغ مرحلة النضج الشعري بعد. الا أنه، وفي كل الملتقيات، كان له حضوره الدائم،وهو يجمع بشكل مذهل، بين الفوضوية، التي تبدو هكذا، وبين العذوبة والصفاء، بين «ضربة الشمس» وبين الذي النهمر في الصباحات الحزينة...

ما ودعته مرة، الا وأحسست أنني لن أراه ثانية، فهو يبدو كمن صدرت بحقه عشرات الاحكام بالإعدام، انه واحد من تلك الاحصنة الشاردة، غير المسموح له بمتابعة العيش في هذه الرحلة. ولكنه دائما يعود، يفاجئك بأنه ما يزال يعيش، لكأنه يحمل تعويذة ساحر عجيب، أو رقية من الراقي. قصيدته لم تكن «أشرس» ما في ديوانه «لا بد من التفاصيل» وهي بعنوان «صلوات داجنة» بعض ما فيها وهي مطولة:

من جديد يجاهر كل دم بالفتن
ويجاهد جلدي ليكشف رائحة اللحم
يجاهد قلبي، ليحصي غصاته تخسر العظام
ويجاهر رأسي
بتطلع بصير وطن...»

وعدوان يؤكد، في كل ما يقول، انه يحمل «نظمه» فوق رأسه، على منكبيه، وطنا للقتل، ويمضي إلى نهاية يرتقيها بلا مبالاة، أو بمبالاة واعية أكثر مما يجب...